باب الاجتهاد والآراء

مسئلة العقبة

بينا في الجزء الماضي أن حقيقة المسألة عسكرية لا ادارية تتعلق بالحدود فهي أول وليد ولدته لنا سكة حديد الحجاز فالدولة العلية ترى أن انكلترا تخاف عاقبة هذه السكة على مصر فهي تريد اتقاء الخطر باقامة المعاقل الحربية في شبه جزيرة سيناء لان مصارعتها في مصر اذا هي دخلت فيها غير معقول وهي تخاف من انكلترا على سوريا والحجاز اذا هي جعلتها بقعة عسكرية باسم مصر ولذلك كان السلطان غير راض بانشاء ناشط من السكة الى العقبة ولما اضطر الى ذلك باستفحال الثورة في اليمن رأى ان انكلترا أنفذت الجنود المصرية الى العقبة للبناء كما قيل ورأت الجنود المصرية ومن يقودها من الانكليز ان العساكر العثمانية بالمرصاد فظهر الامر و بدأ الخلاف بالشكل الذي عرفه الناس وهو ان الترك قد اعتدوا الحدود المصرية ولعل الذي نبه الترك الى أخذ الحذر من الانكليز هو تعيين خمسة آلاف جنيه مصري في ميزانية مالية مصر باسم شبه جزيرة سيناء

فهم الانكليز من جعل العقبة تابعة لولاية الحجاز أن الدولة العثمانية تريد بذلك أن تمنعها منهم بسياج ديني وهو إثارة سخط المسلمين في مستعمراتهم وغيرها عليهم اذا مدوا أيديهم اليها وما كانت الدولة لتحسن استخدام هذه القوى المعنوية ولو كانت تريد ذلك لما حال دونه جعل العقبة تابعة لسوريا لانها على كل حال من جزيرة العرب التي أوصى النبي صلى الله عليه وسلم في مرض موته بأن لا يبقى فيها دينان، وان يخرج منها يهود يثرب ونصارى نجران ، وقد قاوم الانكليز ما توهموه من الدولة بايهام من جنسه فأنشأوا يوهمون شعبهم وسائر الشعوب الاوربية بأن السلطان يريد تهييج التعصب الاسلامي على المدنية الأوربية وربما وجدوا لايهامهم شبهة في ثرثرة احداث السياسة في مصر الذين جعلوا اسم الاسلام والخلافة ضيعة يستغلونها وان أضاعوا الاسلام الذي لا يعرفون منه الا اسمه

لولا أن الدولة العثمانية حذرة من عمل عسكري في سيناء باب سوريا والحجاز لما بالت ان تزيد في مساحة ما سمحت به لمصر منها، ولولا أن انكلترا حذرة من تركيا على مصر لما عظمت من أمر الحدود المصرية ما عظمت، ولولا أنها تتوقع هيجان مسلمي مصر أو ثورتهم اذا استحكمت حلقات الخلاف بينها وبين تركيا لما أمرت بزيادة جيش الاحتلال. فاذا كان سبب النزاع هو ما يعبرون عنه بسوء التفاهم فما أسهل سبيل الاتفاق مع حفظ شرف الدولتين وهو أن تعترف تركيا بحدود مصر التي ذكرت في فرمانات تعيين الخديويين وفي تلغراف الصدر الاعظم الملحق بفرمان عباس حلمي باشا الثاني وتتعهد انكلترا بأن لا تعمل في شبه جزيرة سيناء عملا عسكريا. وقد أساءت الدولة المدخل فعسى ان تحسن المخرج

نحن نعتقد أن الدولة العثمانية لا يخطر لها على بال — وهي في هذه الحال — ان تزحف على مصر أما انكلترا فلا يبعد أن تقصد إقامة المعاقل الحربية في شبه جزيرة سيناء باسم مصر باعتبار مصر حكومة اسلامية لا تعد اقامتها على أبواب الحجاز أو امتلاكها لجزء من الجزيرة مخالفة لوصية النبي صلى الله عليه وسلم. وقد كان يكون ذلك بكل هدوء وسلام لو لم تعارضه الدولة العثمانية وتقاومها فيه انكلترا بعد عجز الحكومة المصرية — وانما نعني بالهدوء والسلام هدوء نفوس المسلمين وسلامة قلوبهم. وان تظفر انكلترا بتركيا ظفراً مبينا وتلزمها بالاعتراف بالحدود كما تريد وتجعل بعد أرض سيناء معسكرا ولو مصريا فان كل مسلم في الدنيا يتألم ويضطرب قلبه ويظن بالدولة الانكليزية ظن السوء ويتوقع الاعتداء على الارض المقدسة كل يوم وقد عرفنا من حكمة هذه الدولة في السياسة البعد عن جرح الشعوب في قلوبها، وان هي جرحتها في أبدانها ورؤوسها (معاملها وحكامها)

ان جميع عقلاء المسلمين يفضلون دولة انكلترا على جميع الدول واذا أيقنوا بأن قطرا من أقطارهم واقع تحت سلطان أجنبي وكان لهم اختيار في الترجيح فأنهم يرجحون بريطانيا العظمى على غيرها. ويعتقد رجال الاصلاح منهم انه لا يمكن الاتيان بعمل يحيي الاسلام وينفع المسلمين في بلاد اسلامية غير مصر والهند بل لا حرية للمسلمين في الدعوة الى كتاب ربهم المنزل وسنة نبيه المرسل الا في هذين القطرين

بريطانيا العظمى ان تمتد هذا الاعتقاد عونا لها على كل دولة تناوئها في الشرق وعليها أن تحافظ عليه وتتحامى مواقف الظنة فيه فان امتلاك القلوب بالحكمة ، خير من امتلاك الرقاب بالقوة، ولتكن آمنة جانب المسلمين واثقة بتفضيلهم إياها على غيرها مادام دينهم محفوظا ومعاهده المقدسة آمنة اعتداء الاجنبي عليها ، أو تداخل غير المسلم فيها ، ولايصدنها عن هذا الاعتقاد تشدّق المغرورين بالغوغاء ، فالزبد يذهب جفاء ، وأما الناس بالعقلاء والفضلاء ،

﴿ الامير الخادم للفقراء ﴾

(صاحب الدولة البرنس حسين كامل باشا رئيس الجمعية الخيرية الاسلامية)

استدار الزمان، وتغيرت أحوال العمران، وتبدلت الأوضاع، وارتقت شؤون الاجتماع، فصارت عظمة الأمراء والرؤساء محصورة في خدمة الدهماء ، بعد أن كانت قائمة باستعباد الفقراء، وامتصاص دماء الضعفاء، وما فتىء أمراء المسلمين يرون أنهم من جنس أعلى من جنس الامة، وان شرفهم ذاتي لطينتهم لا لشرف الملة، فهم يترفعون عن مشاركة الجمهور في المصالح العامة، ولو اعترف لهم في ذلك بالمزايا الخاصة، حتى في مثل هذه البلاد التي زال منها الاستبداد، ووهن الفخر بمجد الآباء والاجداد، وصارت المعارف والأعمال هي الميزان لاقدار الرجال ، — حتى قام الامير حسين كامل باشا عم عزيز مصر بإبطال تلك التقاليد العتيقة، وسن للأمراء في مصر سنة حسنة جديدة ،

أطلع أعضاء الجمعية الخيرية الاسلامية في اختيار هذا الامير رئيسا لها بعد الاستاذ الامام (رحمه الله تعالى) مايعلمونه من بره للفقراء ، وعنايته بالمساكين والضعفاء ، وما سبق له من قبول رياسة الجمعية الزراعية، فعرضوا عليه رجاءهم فيه فما تأبى ، فدعوه لرياسة الجمعية قلبي ، فاستبشرت نفوس العاملين، واطمأنت قلوب الفقراء والمساكين، وشكرت له ذلك ألسنة المسلمين ، بل ألسنة الناس أجمعين

﴿ تنصر المسلمين في قبرص ﴾

كتب الي جريدة (ترك) من قبرص أن عددا كثيرا من مسلمي قرى الجزيرة وضياعها قد تنصروا على أيدي الدعاة (المبشرين أو المرسلين) الذين يجيئون من بلاد اليونان لدعوة المسلمين الى النصرانية . وقد يعجب قراء المنار لمثل

هذا الخبر اذ يعتقدون ان الاسلام في قوة حقه وجلاء تعاليمه وموافقتها للعقل والفطرة لا يمكن ان يختار عليها غيرها و يعهدون أن دعاة النصرانية يقضون في دعوة المسلمين السنين، و ينفقون في سبيلها الألوف والملايين، ولا يكاد يجيب دعوتهم في كل بضع سنين ، الا واحد أو اثنان من أضناهم الفقر ، ولم يبق لهم من الاسلام الا الاسم ، وقد يزول هذا العجب اذا علموا ان أولئك المتنصرين كانوا نصارى فأسلموا ولم يوجد فيهم من المسلمين والمرشدين من يحفظ عليهم دينهم فنمادى الجهل بخلفهم حتى جاءهم من أهل جنسهم ولغتهم من يدعوهم الى دين آخر لا يرون في اتباعه عارا اذ ليس للمسلمين هناك شأن يربي في أفرادهم إحساس الشرف الملي والغيرة الجنسية

الدعوة الى الاسلام

ليس للمسلمين ان يتأسفوا لمثل هذا الخبر تأسف العاجز والزمنى أو يشفوا غيظهم بذم الحكومة التي تبيح الدعوة الى دينها الا اذا كانت لا تبيحها لدينهم أيضا بل عليهم ان يعتبروا و يفكروا في حفظ الاسلام وصيانة شرفه . وليعلموا أن أكبر عار عليهم وأقوى شبهة على دينهم ان تكون حرية الاديان خطرا عليه وهم مشتركون في هذه الحرية مع غيرهم والحق يعلو ولا يعلى . وإن يتفكروا يظهر لهم أنه من الواجب المحتم عليهم انشاء جمعية للدعاة والمرشدين تجمع المال وتربي الرجال وتبثهم في بلاد المسلمين التي غلب عليها الجهل كقبرص وأفريقيا للارشاد وفي بلاد غير المسلمين للدعوة الى الاسلام نفسه . والدليل على وجوب هذا قوله تعالى (٣ : ١٠٤ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)

﴿ نهضة مسلمي روسيا وجرائدهم ﴾

كتب الينا صديقنا الشيخ محمد نجيب التونتاري في ١٦ ذي الحجة سنة ١٣٢٣ ما نصه: (وتأخر نشرها لتأخر ورود السؤال الذي وردمنها)

ان حضرة الامبراطور نيقولا الثاني منح الاهالي كثيرا من الحقوق كالحرية الدينية والوجدانية والشخصية والكلامية والاجتماعية وكثير من المكرهين (على النصرانية) عادوا الى الاسلام رسميا بسبب ذلك وبمساعدة حرية الاجتماع

حصل بين المسلمين اجتماعات عديدة في المحال المتعددة ذاكروا فيها في المسائل السياسية الحاضرة وتعميم التعليم بين الاهالي وغيرها . ويتصورون تأسيس جمعية عمومية اسلامية في الروسية فيعد هذا دورا جديدا للمسلمين يؤمل منه الانقلاب الحسن في مستقبل قريب ان شاء الله تعالى

وانه بمساعدة الحرية الكلامية ظهرت بينا جرائد كثيرة في الاماكن المختلفة و بلدة قزان مع كثرة المسلمين فيها لم تكن فيها جريدة واحدة والآن تصدر فيها خمس جرائد (١) قزان مخبري — جريدة سياسية علمية ملية تصدر في كل أسبوع ثلاث مرات (٢) طان (صباح) كذلك (٣) يلدز (كوكب) وهي أيضا جريدة واسعة البروغرام (٤) آزاد كذلك (٥) العلم والأدب مجلة علمية تصدر قريبا . وفي باغچه سراي جريدتان جديدتان (٦) عالم نسوان — مخصوصة بالإناث تصدر في ادارة جريدة ترجمان أسبوعية (٧) (خاخاخا) جريدة فكاهية وفي باد كوبه ظهرت جريدتان إحداهما (٨) حياث يومية باغة أذربيجان والاخرى (٩) إرشاد هي أيضا كذلك . وفي تفليس أيضا ثلاث جرائد لم اتخطر أسامیها وفي جايق (أورالسكي) (١٣) فكر — جريدة (١٤) العصر الجديد — مجلة كلتاهما أسبوعية . وفي بطرسبورج جريدتان (١٥) نور (١٦) ألفت . وفي أورنبورغ جريدة (١٧) وقت . فهذا مما يعد فالا حسنا لحرية الاستقلال فان الجرائد أول الوسائل في الاصلاحات يمكن ان يستدل بها على أن مسلمي الروس تيقظوا بعد الرقدة الدائمة أصلحنا الله تعالى اه

﴿ اصلاح التعليم والمدارس الاسلامية في روسيا ﴾

كتب الينا أحد طلاب العلم في قزان يقول « اننا قد دخلنا في حياة جديدة منذ كنا تلاميذ لحضرتكم فصرنا نستفيد من كتاب الله بعد ما ظننا الاستفادة منه خاصة بأهل القرون الماضية ولا تقبل قول أحد بلا دليل . وأعلم يقينا ان هذه الحياة من الروح التي نفختموها بواسطة مجلتكم جزاكم الله عنا خير الجزاء . وقد ناهضت الطلبة بطلب اصلاح المدارس الاسلامية وكلفوا مديري المدرسة وأساتذتهم عدة مواد استصوبوها بالشورى بينهم لان طريق التعليم في مدارس قزان وخيم

جدا لا يدرس فيها الا ما بقي من خيالات اليونان والنسفي مع شرحه التفتازاني والنحو والصرف بكتبه المعروفة بشرط أن يضيع من العمر خمس سنين من غير فهم ولا يدرس غير ما ذكر لا من التفسير ولا من الحديث وغيره — ولكن المدرسين ربحوا من هذه التكاليف واستثقلوها لاعتيادهم أكل « بلش المحلة » — طعام من الأرز خاص بالامام — فطردوا من التلاميذ من يريد الاصلاح فأخرج من مدرسة عالم جان البارودي اثنان وعشرون طالبا من ذوي النهى وأبقوا من لا يهتم بشيء من الإصلاح وسموا الذين أخرجوا بغير حق (بالروس الجديد) ولكن الظالمين في ضلال بعيد ، فيا أهل الغيرة والحمية الدينية ماهذه البربرية في زمن المدنية الا لم نكون ضحكة للاجنبيين ، وختام نعمه في جهالتنا أجمعين ، — فاسمعي هذا حال بلادنا التي تحسن الظن بها !!! اه بنصه

هذا وقد رأينا جميع الجرائد الاسلامية الروسية التي تجيء مصر قد خاضت في هذه المسألة ففي العدد ٢٤ من جريدة ترجمان التي تصدر في (باغچه سراي — روسيا) ما ترجمته :

﴿ الكتاب المفتوح ﴾

من التلاميذ الذين طردوا في ٢٦ فبراير من المدرسة المحمدية (المنسوبة الى محمد جان والد عالمجان المشهور) بقزان الى آبائهم

حضرات آباءنا الكرام !

نكم أسلمتمونا الى المدرسة المحمدية بقزان اذ لم تجدوا مدرسة أحسن منها. وكان مقصدكم من هذا هو ان نتعلم في المدرسة العلوم النافعة ونتحلى بالاخلاق الفاضلة ونكون رجالاً نعمل لمصالحنا ولمصالح الامة .

ولكننا علمنا بعد طول التجربة والاختبار ان مدارسنا اذا بقيت على هذه الحالة لا يرجى منها خير ما فضلا عن العلوم النافعة والاخلاق الفاضلة .

والعلوم التي نحصلها في مدارسنا لا تنفعنا أبدا . أما ترون أننا نخرج من المدارس وليس في يدنا شيء نكتسب به فنبقى عالة على الناس نتسجر بالدين أما نحن فلا نحتمل هذه الذلة والمسكنة بعد ان نتعلم عشر سنوات أو أكثر

وليس امامنا سوى التأذين والامامة . وهذان المنصبان يئول أمرهما شيئاً فشيئاً الى التعاسة والشقاء فان الائمة والخطباء يشكون سوء حالهم . على ان العلوم التي نتعلمها في مدارسنا لا تكفي للامامة والخطابة أيضاً . ولا يعلموننا شيئا من الاخلاق والتربية بل نتعلم فيها الاخلاق السافلة كالجبن والطمع وظلم الفقراء والتملق للاغنياء والكسل

نحن لا نكون بما تعلمنا في المدارس الا مصيبة للعوام وعلماء السوء الذين قال فيهم نبينا عليه الصلاة والسلام ما معناه (شر الخلائق علماء السوء الضالون المضلون) نبقى في المدارس عشر سنين أو أكثر ونقاسي فيها من أتعاب البدن والفكر مالا يحمله أحد ثم نخرج لتكليف الناس . وأولاد الامم المجاورة لنا يتعلمون وعقولهم سليمة وصحتهم كاملة متمتعون بكل حدة ونشاط ثم يخرجون وأدمغتهم ملأى بالعلوم والافكار السامية فينالون الوظائف المتنوعة ونحن نمثل بين أيديهم بكل خضوع ومسكنة وكل منا متخرج في المدارس .

وأما أساتذتنا فيملؤن أدمغتنا بالخرافات والاسرائيليات ، ويشوشون عقائدنا باليونانيات والفنتازانيات ، ويسومونا حفظ الحواشي والتعليقات ، ويجرعوننا الكؤس المرة مما لا تعلق له بالدين بالمرة . يجرعوننا ذلك باسم العلوم الدينية ونخرج من المدارس لا بالدين نقوينا ولا بالعلوم العصرية تسلحنا . عبيد أوهام جبناء ، خلو من العقول سخفاء ، ترتعد فرائص الواحد منا أمام واحد روسي أو بالاك أو يهودي من المتعلمين .

نحن نرجو من قومنا أن لا يغفلوا عن حالهم ومستقبلهم واثقين بابنائهم الذين يتعلمون في المدارس الاسلامية لاننا علمنا انه لمن يجاري المتعلمون منا في مضمار تنازع البقاء للمتعلمين من الامم الاخرى . لان هؤلاء متسلحون بالعلوم الصحيحة الحقيقية ونحن عزل أنكاس مساكين .

نحن لسنا راضين عن حال مدارسنا وبذلنا جهدنا في اصلاح حالها وخالفنا معلمينا ومربينا في أمور التربية والتعليم . فانكروا فعالنا وأبغضونا ونظروا الينا شزراً ثم سئموا تكاليفنا فأنشأوا يبحثون عن طرق النجاة معنا وأخذوا يطردون الذين يذكرون حال المدرسة واحداً بعد واحد .

نحن نتعجب كثيراً من أن أمتنا طلبت من الحكومة في السنين الاخيرة مطالب

جمة ولم تخطر ببالها مدارسنا التي هي حياتنا وبها بقاؤنا وتركتها في زوايا الاهمال والنسيان . لا بقاء لنا الا بالمدارس فكيف يجوز اهمال شأنها . نحن نقول ونرفع عقيرتنا ليعلم كل فرد من أفراد الامة ان أول درجة من درجات الاصلاح هي اصلاح المدارس والكتاتيب ثم انا لا نأسف لخروجنا من هذه المدرسة ولن ندخل غيرها لانها كلها على نسق واحد حذو النقطة بالنقطة ونختم قولنا بكلمة توجبها اللامة من صميم أفئدتنا « بادروا أيها الاخوان الى اصلاح المدارس والا فعليكم وعلى مدارسكم السلام »

(المنار) وسننشر في الجزء الآتي مقالة مترجمة عن جريدة (وقت) عنوانها (المدارس وطلبة العلوم)

﴿ قتل ابن الرشيد ﴾

اغتنم ابن الرشيد فرصة الهدنة بينه وبين ابن مسعود فغدر واعتدى فعلم ابن مسعود من أربعة جواسيس قبض عليهم أن سيبيته ليلا فزحف عليه الى روضة مهنا وبعد ملحمة شديدة قتل ابن الرشيد وأخذ خاتمه وساعته ورايته وقتل جيشه تقتيلا وقد زحف ابن سعود على (حايل) وتلك عاقبة البغي « وما هي من الظالمين ببعيد »

﴿ تساهل المسلمين في شأن الخلافة ﴾

يتهم أهل أوربا المسلمين بالغلو في التعصب الديني ويقولون في هذه الايام ان السلطان يهيج هذا التعصب في بعض الجرائد المصرية بأنه خليفة المسلمين فالاعتقاد بالخلافة هو بركان التعصب: ولو كان المسلمون يتعصبون للخلافة ويعتصمون بالخلافة كما يظن بهم لقامت قيامتهم على الشيخ محمد بخيت المدرس بالازهر اذ ألف رسالة قال فيها انه يجوز ان يكون خليفة المسلمين الذي ينصب القضاة ويأذن بصلاة الجمعة كافرا واستدل على ذلك بحديث منكر أو موضوع لا يدل عليه . وقد قرظت رسالته جرائد المسلمين ولم ينكر عليه أحد بل وجد في أصحاب الجرائد من ينتصر له ويدافع عنه فلتطمئن قلوب الأوربيين فان هذه الثرثرة بلقب الخلافة والخليفة وسيلة للكسب لا أثر لها في التعصب ولو كان كتب مثل هذا الاستاذ الامام رحمه الله تعالى لهاجت الجرائد وماجت الامراء والشيوخ وتبعهم العوام بلغو الكلام لا تعصبا للخليفة وحماية للخلافة بل لان في ذلك من الكسب والشهرة ما فيه